

<https://doi.org/10.34118/jhc.v5i1.4745>

الشعر الشعبي في منطقة الأغواط "الشاعر عبد الله بن كريو" أنموذجا

The Popular Poetry in The Region of Laghouat,

The Poet Abdellah Ben Kriou As a Model

مساعدة نوال^{*1}

المدرسة العليا للأساتذة مسعود زغار العظمة، سطيف، n.messad@ens-setif.dz

تاريخ الإرسال: 2022/11/02 تاريخ القبول: 2022/12/04 تاريخ النشر: 2023/01/01

الملخص:

تُعدُّ منطقة الأغواط من أكثر المناطق الجزائرية ثراءً؛ حيث تشتهر بوجود تراث غنيّ، جعلها تترنّع على عرش الشعر الشعبي، ويأتي الشاعر "عبد الله بن كريو" في طليعة هؤلاء الشعراء الذي تغنوا بهذه المنطقة، وأشهرهم على الإطلاق، نظراً لجمال قصائده وبلاغتها، ومواضيعه الهادفة، وفي هذا العرض الموجز سنحاول الغوص في هذا الزخم الإبداعي لهذا الشاعر الفذ المتفرد عن غيره بما تركه من قصائد توحى بعبقريته المميّزة..

الكلمات المفتاحية:

الشعر الشعبي، الشعر الشعبي الجزائري، منطقة الأغواط، عبد الله بن كريو، شعراء الملحون.

Abstract:

The region of Laghouat is considered as one of the richest regions in Algeria as far as the popular poetry is concerned. It has a rich popular poetry heritage, which makes it the most famous region in that type of poetry. Abdellah Ben Kriou is the most famous popular poet who wrote many excellent poems in which the beauty and the eloquence are obvious with purposeful themes. In these lines we try to discover the poetic creativity of this unique popular poet.

Keyword:

Popular Poetry, Algerian Popular Poetry, The Region of Laghouat, Abdellah Ben Kriou, Melodic Poets.

مقدمة:

الشعر الشعبي هو الشعر الذي يُكتب بلغة عامية ملحونة، وقد يُذكر فيه اسم الشاعر وتاريخ نظم القصيدة في آخرها، وقد لا يُذكر، كما قد يشير الشاعر إلى اسمه برموز يجب على المتلقي فهمها ومعرفة محتواها، وتتعدد مضامينه ومحتوياته، وتنوع أغراضه حسب هذه المضامين، يُلقى بشكل ارتجالي في المناسبات الاجتماعية المختلفة، ويأتي على عدة أوزان، تختلف باختلاف المناطق واللهجات، ينتشر في العالم العربي عامة، وفي الجزائر بشكل خاص، أطلق عليه في الجزائر اسم الشعر الشعبي أو الشعر الملحون، والمصطلح الأول هو الشائع غالباً.

ينتشر الشعر الشعبي عادةً في المناطق الوسطى من الجزائر، والمناطق الغربية والجنوب، وقد يُصاحب إلقاء آلات موسيقية معينة كالنّاي والقصبة والبندير والدربوكة، فيُغنى بأصوات مطربين، تختلف أشكال غنائهم حسب ما هو متوارث في مناطقهم.

وقد تميّزت مدينة الأغواط كغيرها من المدن الجزائرية بوجود شلة مميزة من شعراء الشعر الشعبي، وجاء شعرهم بديعاً من الناحية الفنية، حيث برّعوا في نظم قصائد بقيت شاهدة على جمال لغتهم وفصاحتهم وبلاغتهم، ورقة إحساسهم وشهامتهم في أصعب المواقف، ومن أبرز هؤلاء الشعراء نجد الشاعر "عبد الله بن كروي".

1- التعريف بالشاعر:

هو عبد الله بن القاضي الحاج محمد بن الطاهر، ولقب عائلته هو (التّجّي)، وقد اشتهر شاعرنا بابن كروي - بتشديد الرّاء وكسرهما وتسكين الواو - وهنالك اختلاف بين المؤرخين في مصدر اللقب "كروي" ومعناه.

وُلد ابن كروي في مدينة الأغواط، وإليها ينتسب وهو يعتزُّ بانتسابه لهذه المدينة، وقد اختلفت الروايات في تحديد تاريخ ميلاده بالضبط، فقد ذكر بأنه وُلد في حدود سنة 1869م بالأغواط، ومنهم من قال بأنه وُلد سنة 1871م بالأغواط، أما بالنسبة لتاريخ وفاته فهناك من رجّح بأنه توفي في 1921/10/26م، ومن قال بأنه توفي في 1921/10/21م والفيصل في هذا

الاختلاف هو شهادة وفاته التي ذكرت بأن تاريخ وفاته هو 1921/10/27م عن عمر يناهز خمسين سنة.²

أبوه هو الحاج محمد بن الطاهر، ويقال بأنه كان مثقفاً وقد اشتغل بسلك القضاء مدة 35 سنة. وأمّه هي أم النُّون بنت نعيمة، تنتمي إلى نفس قبيلة أبيه؛ قبيلة أولاد التَّحِي، وهي جزء من قبيلة غنيّة ومشهورة بالأغواط، وقد تكفل الشاعر بأمه بعد وفاة والده، لديه أخ من أبيه هو محمد كان إمام مسجد وشاعراً أيضاً، وأخوات هنّ: سألّة وأم الخير والحمراء.³

عاش شاعرنا في بيئة مثقفة، كان أغلب أفرادها شعراء، فأبوه شاعرٌ، وأخوه شاعرٌ، وأخته شاعرة، وهو شاعر، كما أنه أنجب ابنة شاعرة أيضاً.⁴ تزوج ابنة عمّه بدرّة بنت الحاج أحمد، وهي من نفس عائلته، توفيت بعد وفاته بخمسة أو ستة أشهر، ولم ينجب شاعرنا ذكورا، وترك بنتين هما فطيمة الزهراء وخيرة.⁵

لقد نهل عبد الله بن كزيو الثقافة على عادة أهل زمانه، حيث تعلم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف منذ صباه، كما أنه درس علم الفلك، وعلوم اللغة العربية، وقد استفاد من دروس المدرسة الفرنسية، حيث أهّلته هذه اللغة للحصول على شهادة الكفاءة للوظيفة، واختار مهنة القضاء،⁶ فعمل بمدينة المنيعّة ثم بغرداية.

ويقال بأن عمله في المنيعّة كان مدبراً بسبب الاستعمار الفرنسي الذي نفاه إليها باستخدام خطة خطيرة، هي اتّهامه بالتَّغرُّل بفتاة من عائلة مرموقة وحبّه لها.

2- شعره:

ترك الشاعر "عبد الله بن كزيو" خلفه ديواناً شعريّاً حافلاً، تميزت قصائده ببلاغتها وفصاحتها وميلها أحيانا للفكر الفلسفي اليوناني، ولا زالت بعض أفكاره غير مفهومة لدى النُّقاد والباحثين مهما حاولوا البَحْث في معانيها، واستقصاء فحواها، واستكناه بواطنها، وتعدّدت الأغراض الشعرية التي نظم فيها الشاعر، فجاءت قصائده بديعة، وتؤرِّخ لماضٍ امتلأ وفاض بالأحداث والظروف المختلفة التي عايشها الشاعر.

وسنحاول اختيار بعض المواضيع التي برز فيها الشاعر وأجاد، حيث لا زالت قصائده مَحْفُوظة في الذاكرة الشعبية، يرِدّها الرُّواة والشعراء في مختلف مناطق القطر الجزائري.

أ- الشاعر والمرأة:

يُقال؛ حسب بعض الروايات بأن "عبد الله بن كزيو" قد هام حبًا بابنة الزعانيين، ولكنه لم يتزوجها، ربما لأسباب تعود إلى عادات كانت متوارثة من العصر الجاهلي، وهي أنه إذا تغزل الشاعر بإحدى الفتيات، فيمنعها أهلها عنه، ويمنع من الزواج بها هروبًا من العار، ويبدو أن هذا ما حصل مع شاعرنا، لذلك انفجرت قريحته شعرًا فيها، وجاءت قصائده معبرة عن هذا الفراق الأبدي، والحنين إلى لقيائها، وكأنها دُرّة مكنونه صعبة المنال، أو نجمة متألئة في سماء بعيدة.

يقول الشاعر في أول قصيدة له في التغزل بابنة الزعانيين:

جيتْ اَنُوسَّعْ خَاطِرِي ضِيْقْ عَشِيَّةٍ زِدْتُ عَلَيْهِ هُمُومٌ مِنْ نَظَرَاتِ اصْغَابِ
 رَفِيقِي مَا لَهُ خُبْرُ صَاحِبِ نِيَّةٍ مَا هُوَ دَارِي بِالْبَلَا مَا شَافَ عَذَابِ
 يَمْشِي فِي الْإِمَانِ وَيَحْدُثُ فِيَّ يَصْنَعْتُ لِي مَا نَرُدُّ عَلَيْهِ وَجَابِ
 تُمَاهِلُ فِي مَشْيُتِهِ وَنُظْرَلِيَّ وَتُحَقِّقُ فِي حَالِي مَا هِيَشُ صَوَابِ
 يَا عَبْدَ اللَّهِ قَالِي عَيْدُ عَلِيٍّ وَاشْ جِرَالِكْ رَاكْ مَفْتُونٌ وَلَوَّابِ⁷

ويكشف الشاعر لمرافقه سبب تكدر حاله، وحزنه الظاهر في تصرفاته، ويخبره عن مكنونات قلبه، ويطلب منه اكتشاف اللغز الخفي بنفسه. يقول:

سَاعَفْ حَالِي يَا إِلِيَّ رَاكْ مُعَايَا وَانُورِيكَ مَنِينْ دَرَكُونِي لَعَطَابِ
 يَخْسَنُ عَوْنُكَ مَا دَرَيْتَشْ مَا بِيَّ وَاشْ اِيْجِيْبُ إِلِيَّ مَهْيَّيْ لِلْمُصَابِ؟
 اسْتُرْ حَالِي يُسْتَرْكَ عَالِي الْعُلْيَا رَاهْ اَرْفِيْقُكَ مَكْنُهُ رَامِي عَطَابِ
 وَاهُ الظَّنُّ يَخِيْبُ فِيَّ يَا خُوْيَا وَ اَنَا بَحْرُ غَمِيْقٍ لَسَرَارِكَ مُهَابِ
 اِيْنَجِيْكَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ بَلِيَّةٍ عِنْدَ الْخَاوَةِ هَكَذَا ظَنَنْتُ لِحَبَابِ
 ثَبَّتْ نَظْرُكَ شَوْفْ مِنْ ذَا النَّاحِيَّةِ وَاسْتَخْبَرَفِيْمَا خُلُقْ مَا لَكَ لِرَقَابِ⁸

وتحصل المفاجأة عندما شاهد هذا الرفيق نجمة مضيئة تتلألأ وسط الغيوم، لا تشبه غيرها من النجوم، ولا أحد يعرف لها اسماً أو طريقاً:

لَاخُ بُعَيْنُو شَافْ نَجْمَةً ضَوْأَيَةً كِي بَرَزَتْ بَنَوَارَهَا مِنْ وَسْطِ سَحَابِ
 مَا هِيَ فِي حَيْزِ النُّجُومِ الْمُسَمَّيَةِ وَلَا يَعْرِفُ تَقْوِيمَهَا شَاطِرُ حَسَابِ
 كُلُّ مَنْجَمٍ دَهْشَاتُهُ ذَا الرُّؤْيَةِ بَحْثُوا عَنْ تَعْدِيلِهَا وَاحِدًا مَا صَابِ
 هَذِي دُرَّةٌ فِي خَزَائِنِ مَحْضِيَّةٍ يَقْدَحُ مِنْهَا نُورٌ بِالْحَكْمَةِ لَهَا⁹

ويرحل الشاعر بفكره وخياله إلى من سبقه من العشاق العرب، فيذكر مثلاً: قيس بن الملوح (مجنون ليلى)، ليؤثر في المتلقي، ويظهر ثقافة واسعة وشاملة يمتلكها هذا الشاعر، وليس غريباً عنه، فهو الذي نشأ وترعرع ورضع علوم اللغة العربية منذ صباه.

من هي هذه الدُرَّةُ يا ترى؟! ومن تكون هذه النجمة الساطعة وسط الظلام الدامس؟!
 يجيبنا الشاعر قائلاً:

الدُّرَّةُ مِثَالُ صَادَفٍ مَعْنَايَا أَنَا بِي سَابِغِ الْعَيْنِ وَلَهْذَابِ
 مَا رَدَّتْ لِي بِالْ طُفْلَةِ غُرْبَةٍ جَرَحْتَنِي بِجِرَاحٍ مَا يَنْفَعُ طَبَّابِ
 ابْنُ سَيْنَا شَيْخٌ فِي الطِّبِّ احْكَايَةِ قَالَ الْعَشَقُ إِذَا امْكُنْ مَا لَهُ تَطْبَابِ
 إِذَا قَالُوا قَيْسٌ قَيْسُ الْمَعْنَايِ تَلْقَانِي كِي قَيْسٌ حَامِلٌ كُلِّ عَذَابِ
 إِذَا قَالُوا جَنُّ مَا نَمَّ حَكَايَةِ اللَّيِّ بِي خَيْرٌ مِنْ لَيْلَى تَنْصَابِ
 مَا تَلْقَاشِي حَدَّ عَذَابٍ فِي الدُّنْيَا مِثْلُ الْعَاشِقِ شُوفْ مِنْ شَاوُؤْ لَعْقَابِ¹⁰

ليس غريباً أن تكون هذه المعشوقة فتاة جميلة ذات حسب ونسب، سرقت قلب الشاعر وتركته مُدْمَى، لا ينفكُّ يذكرها فيتألم قلبه ويبكي لوعته، وينظم في حُسنها شعراً رقيقاً عذباً ينساب مع القوافي انسياباً، ويجري من الشاعر مجرى دمه في شرايينه وأوردته.

يوصينا الشاعر وصيته الأخيرة، ويذكرنا بعدم لومها على ما فعلته به من هجر. يقول:

انْوصِيكُمْ يَا رَجَالَ اللَّزْمِيَّةِ إِذَا مِتُّ بَلِيعَتِي هِيَ الْإِسْبَابِ

اتَّهَلُّوا لَا تُطَلِّبُوهَا فِي الدِّيَّةِ رَّبِّي دَارَ حَسَابٍ فِي لَأْخَرَةِ وَعُقَابٌ¹¹

وهكذا يختم الشاعر قصيدته بالتوسل إلى المولى عزَّ وجلَّ أن ييسر له أموره، وأن يغفر له ذنوبه، وأن يتجاوز عن سيئاته.

خاتمة:

مات الشاعر "عبد الله بن كزيو" في الواقع، ولكنه أبداً لم يمت في ذاكرة عشاق الشعر الشعبي، حيث خلَّده التاريخ بأحرف من ذهب، وخلَّد قصائده التي تُعدُّ من أجود ما قيل في الشعر الشعبي لحدِّ اليوم، ولا تزال قصائده بحراً عميقاً يجب الغوص في أعماقه لاستخراج أبهى الدرر وأغلى النِّفائس.

الهوامش:

-
- 1- إبراهيم شعيب: ديوان عبد الله بن كزيو، مطبعة رويني، الأغواط، ط2، 2004، ص: 20.
 - 2- ينظر: المرجع السابق، الديوان، ص: 22/21.
 - 3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 24/23.
 - 4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 24.
 - 5- ينظر: المرجع نفسه، ص: 27/26.
 - 6- ينظر: المرجع السابق، الديوان، ص: 28/27.
 - 7- الديوان، ص: 71.
 - 8- الديوان، ص: 71.
 - 9- الديوان، ص: 71.
 - 10- الديوان، ص: 72.
 - 11- الديوان، ص: 72.